الإطار الزمني للخطاب القصصي البوطاجيني" ما حدث لي غدا، وفاة الرجل الميت، اللعنة عليكم جميعا، حذائي و جواربي و أنتم أنموذجا"

الأستاذة: حسيبة ساكر
جامعةالشيخ العربي التبسي- تبسة

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الإطار الزمني في الخطاب القصصي البوطاجيني للكاتب الجزائري السعيد بوطاجين، من خلال مقاربة مجموعاته القصصية الأربعة (ما حدث لي غدا، وفاة الرجل الميت، اللعنة عليكم جميعا، حذائي و جواربي و أنتم)، حيث نستهلها بتحديد مفهوم الزمن و أقسامه، مبينين آراء بعض النقاد الذين أسهموا مساهمة كبيرة في تطوير مفهومه بمختلف أشكاله، ثم نختتمها بتحديد الإطار الزمني في النصوص القصصية البوطاجينية الآنفة الذكر.

الكلمات المفتاحية : الإطار; الزمني; الخطاب; القصصي ;البوطاجيني

توطئة:

مفهوم الزمن: le temps

يعتبر «الزمن من المفاهيم الكبرى التي حار العلماء و الفلاسفة و الرياضيون في الإجماع على تعريفها، مما يذر الباب شارعا لكل مجتهد و ما يقترحه من تعريف»[i]. «لذا اتخذ مفهوم الزمن دلالات كثيرة فاصطنعته حقول كثيرة من العلم، فنلفيه مذكورا لدى النحاة بمعنى، و لدى الفلاسفة بمعنى، و لدى النقاد بمعنى».[ii]

و رغم ذلك «يظل الزمن من أفلاطون (Platon) إلى أرسطو طاليس (Aristote)، و من كانت (Kant) إلى برجسون (Bergson)، و من هيسرل (Husser) إلى ريسل (Russell) مظهرا معقدا و ملغزا لا ينتهي إلى الاتفاق حول ماهيته و طبيعته»[iii]. و ها هو ميشال ريمون (M.Raymond) يتسأل عن حقيقته «هل يوجد الزمن؟ كيف نمسك به؟، كيف نفهمه؟، فالمستقبل لم يأت بعد، و الماضي لم يعد موجودا، و الحاضر لا يستمر مطلقا»[iv].

فالزمن شيء مجرد و زئبقي لا نستطيع الإمساك به، كما يصعب علينا تعريفه تعريفا دقيقا نظرا «لسعة مجاله و ارتباطه بكل مظاهر الوجود الطبيعي و الإنساني»[v].بيد أننا ندركه في كل ما يحيط بنا، فنراه في مراحل حياة

الإنسان، و في تعاقب الليل و النهار، و الفصول... فهو «كالأكسجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا، و في كل مكان من حركتنا، غير أننا لا نحس به، و لا نستطيع أن نتلمسه، و لا أن نراه».[vi]

«و يعد الزمن من أكثر هواجس القرن العشرين و قضاياه بروزا في الدراسات الأدبية و النقدية، إذ شغل معظم الكتاب و النقاد أنفسهم بمفهوم الزمن الروائي و قيمته و مستوياته و تجلياته».[vii]

فكانت الرواية من أكثر الفنون الأدبية التصاقا بالزمن، ف «الأحداث في كل نص تسير في زمن، الشخصيات تتحرك في الزمن، الفعل يقع في زمن، الحرف يُكتب و يقرأ في زمن، و لا نص دون زمن»[viii]. فغدا بذلك الزمن موضوعا أساسيا و محوريا لدى أغلب المدارس النقدية التي سعت للكشف عن ماهيته و أقسامه، فقسمه أغلب النقاد إلى قسمين:

أ- الزمن الخارجي: le temps externe

إنه ذلك الزمن الذي نعرفه بواسطة الأجهزة و التقاويم ، و يتجلى في مراحل حياة الإنسان المتمثلة في: الولادة، الطفولة، الشباب، الكهولة، الشيخوخة، و الموت، و في تعاقب الليل و النهار، و في تعاقب الفصول الأربعة...و هناك من يسميه بالزمن الموضوعي أو الطبيعي أو الكرونولوجي.

ب- الزمن الداخلي: le temps interne

هناك من يطلق عليه اسم الزمن النفسي أو السيكولوجي، فهو ذلك الزمن المتصل بوعي الفرد و تجاربه الخاصة, نحدده وفقا للحالة الشعورية للفرد, الذي يمكنه أن يستحضر الماضي و يحلم بالمستقبل في لحظة واحدة، كما قد يشعر ببطء الزمن إذا كان قلقا و متوترا، فيتصور الثانية قرنا، في حين أنه قد يحس بسرعته إذا كان فرحا و مسرورا ، فيتخيل يوما كاملا ثانية واحدة، «فالوقت السيكولوجي يتغير تبعا للظروف».[ix]

و قد يختلف استعمال الزمن داخل العمل الروائي من مبدع إلى آخر و من رواية إلى أخرى، لذا نلفي الرواية التقليدية تتميز بالتسلسل الزمني المنطقي القائم على ترابط الأحداث و تعاقبها، و إن كانت هناك صعوبة في ترتيبها ترتيبا متسلسلا، كما جرت في الواقع، و رغم ذلك يكاد «يكون فيها الزمن متسلسلا، يمنحها وحدة متكاملة، متعاقبة، متتابعة الأحداث بتتابع أبعاد الزمن، فيربط الحدث اللاحق بالسابق منذ بداية الرواية إلى نهايتها».[x]

و في المقابل نجد الرواية الحديثة قد حاولت التحرر من خطية الزمن بابتكار بناءات جديدة، فلم تعد تهتم بالحبكة الروائية القائمة على السببية و التسلسل الزمني، بل انفتحت على عدة أزمنة متداخلة متجاوزة بذلك الأشكال الثابتة في البنية، كما غاصت في أعماق الشخصيات لسبر أغوارها.

و لم ينشغل الروائيون وحدهم بقضية الزمن، بل أولاه النقاد عناية فائقة, فجعلوه محور دراساتهم، لذا سنسلط الضوء فيمايلي على آراء بعض النقاد الذين أسهموا مساهمة كبيرة في تطوير مفهوم الزمن بمختلف أشكاله:

1- الزمن عند الشكلانيين الروس:

يعود فضل الريادة في الاهتمام بقضية الزمن الروائي للشكلانيين الروس، فهم «يمثلون الانطلاقة الفاعلة الأولى في تحليل الخطاب الروائي في العشرينات من القرن العشرين»[xi] مؤسسين تصورهم انطلاقا من التمييز بين المتن الحكائي(Fable)المتعلق بالقصة كما جرت في الواقع، و المبنى الحكائي(Sujet) المرتبط بطريقة عرض القصة في النص السردي، و هما القضيتان اللتان أومأ إليهما بوريس توماشفسكي (Boris. Tomashevsky)[xii] ، كما جعلوا «نقطة اهتمامهم لا ترتكز على طبيعة الأحداث في ذاتها و زمنها، و إنما على العلاقات التي تربط أجزاءها»، فهم «يهملون السرد من حيث هو قصة، و لم يكونوا يهتمون سوى بالسرد من حيث هو خطاب»[xiii]،إضافة لذلك لا ننسى أنهم من الأوائل الذين «وضعوا أيديهم على بعض قضايا الزمن في الرواية، فتحدثوا عن الاسترجاع و الاستباق».[xiv]

و ما يمكن قوله عن الشكلانية الروسية أنها لم تستطع بلورة آرائها بشكل واضح بسبب قصر المدة الزمانية التي عاشتها.

2- الزمن عند البنيويين:

لقد استفادت البنيوية مما جاءت به الشكلانية الروسية، و كذا من الجهود التي بذلها العالم اللغوي دوسوسير(De Saussure) فيما يتعلق بمفهومي التزامن و التعاقب، إذ بظهور النقد البنيوي ازدادت العناية بعنصر الزمن في الرواية، و ظهرت دراسات و بحوث عديدة لتحليل الزمن، ففي دراسة تودوروف (T.Todorov) للأزمنة السردية ميز بين زمن القصة و زمن الخطاب، ففي القصة يمكن لأحداث متعددة أن تجري في آن واحد؛ أي أن زمنها متعدد الأبعاد، في حين أن زمن الخطاب خطي ملزم بترتيبها ترتيبا متتاليا يأتي فيها الحدث تلو الآخر، كما يقسم الزمن إلى: زمن القصة (le temps de l'histoire) و هو متعلق بالعالم التخيلي، و زمن الكتابة (le temps de l'écriture) خاص بعملية التلفظ، ثم زمن القراءة (le temps de la lecture) و هو الزمن الضروري لقراءة الزمن السردي[xv].

أما جيرار جينيت (G.Genette) فله آراء و نظريات متميزة حول الزمن الروائي خاصة فيما يتعلق بالاسترجاع و الاستباق من خلال تحليله لرواية مارسيل بروست (Marcel Proust) (بحثا عن الزمن الضائع) ، حيث لا

يختلف كثيرا مع تودوروف (T.Todorov) في نظرته للزمن، و لكنه يُفصل أكثر مؤكدا بأن زمني القصة و الخطاب تربط بينهما ثلاث علاقات و هي:

أ- علاقة الترتيب الزمني:Ordre

فاستحالة تساوي زمن القصة و الخطاب إلا في المشهد الحواري يؤدي إلى إحداث مفارقات زمنية على مستوى السرد، هي الاسترجاع و الاستباق.

ب- علاقة المدة و أنواعها: Durée

التي تسرع السرد، أو تعمل على إبطائه من خلال الوقفة و الحذف و الحوار و القفز الزمني.

جـ- علاقة التواتر:Fréquence

و يتجلى في التكرار الذي تنتج عنه عمليات مختلفة، كالتواتر الانفرادي(Singulatif) و التواتر التكراري(Répétitif) و التواتر التكراري المتشابه(Itératif).

أما رولان بارت (R.Barthes) فيؤكد بأن الزمن قسم بنيوي في الخطاب شأنه شأن اللغة[xvi]. لنصل في الأخير إلى حقيقة مفادها أن البنيوية كمنهج نقدي له رؤاه و قوانينه و أنظمته، قد طورت مفهوم الزمن و رصدت مختلف أشكاله و تجلياته، و نظرت إليه كبنية و كجزء من عالم النص.

3- الزمن عند التفكيكيين:

«حين أعلن دريدا (J.Derrida) موت البنيوية قدم مصطلح التفكيكية على أنقاضها»[xvii]، فكان رأيها حول الزمن يتمثل في أن الإحساس بالزمن يكون مرتبطا بدور المتلقي، «فلا نكون مبالغين إذا قلنا إن أهم الأدوار في إستراتيجية التفكيك هو دور القارئ، و ليس المؤلف أو العلامة أو النسق، أو اللغة. فالقارئ فقط هو الذي يحدث عنده المعنى»[xviii]، كما اعتبرت ثقافة المتلقي (القارئ) و تكوينه الفني و الأدبي و قراءاته السابقة هي التي تحدد إحساسه بالزمن، «فركزت جل اهتمامها على الزمن النفسي للقارئ منطلقة من النقطة التي وصل إليها عبر تشكل ثقافته و تعليمه و رؤاه في الزمن الكرونولوجي».[xix]

و لتحليل الزمن في المجموعات القصصية: (ما حدث لي غدا، وفاة الرجل الميت، اللعنة عليكم جميعا، حذائي و جواربي و أنتم)، ستكون بدايتنا بدراسة الزمن الخارجي و الداخلي فيها.

أولا: الإطار الزمني في المجموعات القصصية: (ما حدث لي غدا، وفاة الرجل الميت، اللعنة عليكم جميعا، حذائي و جواربي و أنتم).

1- الزمن الخارجي: le temps externe

يعتبر الزمن الخارجي هو الإطار الزمني الذي يؤطر أحداث الرواية أو القصة، فهو مرتبط بالتاريخ و المجتمع، فهما مصدران يغترف منهما الكاتب الخبرات و الرؤى و الأفكار التي تخدم نصه، كما «يتسم بحركته المتقدمة إلى الأمام باتجاه المستقبل، و لا يعود إلى الوراء أبدا».[xx]

و بما أن السعيد بوطاجين يعيش هذا الزمن ، فقد جاءت قصصه معبرة عن التجربة الإنسانية في الزمن الخارجي، فنلفيها تعتمد على البناء التداخلي للزمن, حيث يقتحم فيها الماضي الحاضر حينما تسترجع الشخصيات أحداثا وقعت في الماضي، و تقفز إلى الأمام لتستشرف أحداثا قد تقع في المستقبل ، فيغيب الحاضر و تكسر خطية الزمن.

و سنحاول تحديد هذا الزمن بالتقريب في القصص التالية:

1-1- الزمن الخارجي في قصة (خطيئة عبد الله اليتيم):

لا تخضع هذه القصة لزمن كرونولوجي محدد به تبدأ و به تنتهي- و هذا ما ينطبق على كل قصص السعيد بوطاجين- بل كل ما في الأمر و نحن نتتبع سير الأحداث نكاد لا نعثر على إشارات زمنية، باستثناء إشارتين زمنيتين حددتا لنا بالتقريب الفترة الزمنية التي وقعت خلالها أحداث القصة، و هاتان الإشارتان الزمنيتان اللتان عثرنا عليهما بين ثنايا القصة هما:

- قال القاضي: «في العام الماضي مزق كل شهاداته. و قبلها بشنة ذهب إلى مؤششة و طلب من المشؤول أن يعمل دون مقابل».[xxi]

- كما نجد آخر عبارة يختتم بها الكاتب قصته تتضمن إشارة إلى مكان و زمان إنجاز القصة، و هي: «الجزائر ماي 88».[xxii]

و لعلنا نستنتج من خلال المعطيات السابقة بأن السعيد بوطاجين اختار أن تدور أحداث قصته في حقبة تاريخية يحكمها الحزب الواحد الذي لا يعترف إلا بالرأي الواحد، و هي الفترة الممتدة من بعد استقلال الجزائر إلى غاية سنة 1988م، و المقدرة بـ 26 سنة ، و هو نفس الإطار الزمني الذي دارت فيه أحداث قصته (ما حدث لي غدا)، و (وفاة الرجل الميت)، لكنه ركز في قصة (خطيئة عبد الله اليتيم) على السنوات الثلاث الأخيرة [1986،1987،1988]، حيث كثرت و تعالت فيها الأصوات المطالبة بالتعددية الحزبية و حرية التعبير، مما دفع بالسلطة إلى محاولة إسكات هذه الأصوات بشتى الطرق.

و انطلاقا من الإشارتين الزمنيتين اللتان ذكرناهما قبل قليل نقسم القصة إلى وحدتين كل وحدة لها مرجعيتها الزمنية، و مدتها التي استغرقتها، و هي كالآتي: الوحدة الأولى: عبد الله الحر، الوحدة الثانية: عبد الله المظلوم و السجين.

الوحدة الأولى: (عبد الله الحر)

تمتد من سنة 1986م إلى غاية سنة 1987م؛ أي مدتها سنتين، و هذا ما يؤكده قول القاضي: «في العام الماضي مزق كل شهاداته. و قبلها بشنة ذهب إلى مؤششة و طلب من المشؤول أن يعمل دون أجر»[xxiii]، و في هذه الفترة كان عبد الله شخصا حرا، فيصدع برأيه في السلطة بكل شجاعة و بسالة قائلا: «أنا رجل هادئ،عدو للقوانين و الحكومات».[xxiv]

الوحدة الثانية: (عبد الله المظلوم و السجين)

تجري أحداثها سنة 1988م، و بالتالي تستغرق سنة واحدة ، و هذا ما نستنتجه من العبارة التي يختتم بها الكاتب قصته «الجزائر ماي 1988م»[xxv]، و هي السنة التي أصبح يشكل فيها عبد الله خطرا كبيرا على السلطة ، و للحد من خطره اتهموه بتهمة مزيفة، و أمروا باعتقاله، ف «داهموه صباحا، جردوه من لسانه و انتشلوا مذكراته و الخربشات، ثم وضعوه في كيس و ساقوه. جلدوه و رفسوه، و استنزفوه».[xxvi]

2-1- الزمن الخارجي في قصة (ما حدث لي غدا):

و نحن نتعقب سير الأحداث نعثر من حين لآخر على إشارات زمنية قليلة مبعثرة هنا و هناك تشير بالتقريب إلى الحقبة الزمنية التي جرت خلالها أحداث هذه القصة، و تتمثل هذه الإشارات في:

- عنوان القصة «ما حدث لي غدا».[xxvii]
- «هذه المواسم الجحيمية».[xxviii]
- «الجزائر ساحة أول ماي، مارس 1987م»[xxix]، و هي آخر عبارة يختتم بها الكاتب قصته.

فهذه الإيماءات الزمنية تقودنا إلى القول بأن أحداث هذه القصة قد جرت سنة 1987 ،حيث كان عبد القفار يشمئز من الفساد السائد في مدينته، فحاول أن يثور ضده، فكان مصيره السجن، من هنا يعتوره إحساس باليأس من حاضره و من مستقبله أيضا، لأنه يعتقد أن ما يحدث له الآن سيحدث له في الغد أيضا، باعتبار أن الظروف التي يعيشها واحدة ، و هو شخص ضعيف لا حول له و لا قوة, لا يستطيع أن يفعل شيئا ذا بال، لأنه لا يمتلك القدرة على التغيير.

2-3- الزمن الخارجي في قصة (مذكرات الحائط القديم):

بدأ الزمن الخارجي في قصة (مذكرات الحائط القديم) بلا تحديد إلا أننا نعثر على الإشارات الزمنية التالية:

- «عمرك سبع سنين»[xxx] هذا ما قالته الجدة لحفيدها عبد الوالو.
- «اسمع قل لهم إن عمري ثلاثون سنة».[xxxi]
- و آخر عبارة يختتم بها الكاتب قصته «قرية فريحة بتيزي وزو 10 جوان 1989م».[xxxii]

بناء على هذه المعطيات نكتشف أن عبد الوالو يتذكر و هو في سن الثلاثين؛ أي سنة 1989م الحكايات التي كانت ترويها له جدته عندما كان ابن سبع سنين؛ أي سنة 1959م، فيمتد بذلك زمن القصة من سنة 1959م إلى غاية سنة 1989م لتكون مدتها 23 سنة، و انطلاقا من هذه المعطيات نقسم القصة إلى وحدتين ندرسها كل واحدة على حدة, مع رصد زمنها الخارجي و المدة التي استغرقتها، الوحدة الأولى: زمن الخيال الممتع، الوحدة الثانية: زمن الحقيقة المزعجة.

الوحدة الأولى: (زمن الخيال الممتع)

تبدأ فيها أحداث القصة سنة 1959م تستغرق فترة طفولة عبد الوالو، حيث كان يستمتع فيها بالحكايات التي تحكيها له جدته عن «عام الشر»[xxxiii]، الذي قتل فيه قارون أخاه هارون من أجل سنبلة.

الوحدة الثانية: (زمن الحقيقة المزعجة)

تنطلق أحداثها سنة 1989م، و هي فترة شباب عبد الوالو الذي يتفاجأ باعتلاء قارون المجرم منصب وزير في زمنه بعدما كان مجرد حكاية خيالية نسجتها مخيلة جدته، فينزعج من هذا الوضع و يقرر التصدي لقارون، لكن قارون يطرده من كوخه.

1-4- الزمن الخارجي في قصة (وفاة الرجل الميت):

نلفي في هذه القصة إشارة زمنية واحدة، و هي آخر عبارة يختتم بها الكاتب قصته «الجزائر ديسمبر 1984م»[xxxiv]، فنستنتج من خلالها أن أحداث هذه القصة قد جرت سنة 1984م, حيث تم فيها سلب حياة عبد الرحيم طارق بإعدامه على إثر اتهامه بانتحال شخصية قيس بن الملوح.

1-5- الزمن الخارجي في قصة (من فضائح عبد الجيب):

يتجلى الزمن الخارجي في قصة (من فضائح عبد الجيب) بطريقة غير مباشرة، فلا نعثر على إشارات زمنية، بل نقف على قرائن تاريخية تحيلنا على تواريخها، و تتمثل هذه القرائن في:

- «استعبدنا الغزاة يا بني، و لما ذهبوا قلنا الحمد لله سيصب علينا الخير بالقناطير كنا أغبياء رحل الغزاة، و جاء إخوتنا لم يأت الحق معهم»[xxxv].
- «راحت فرنسا جاءت فرنسا».[xxxvi]
- «لقد شخت في السادسة».[xxxvii]

و إذا علمنا أن خروج فرنسا من الجزائر كان سنة 1962م, و أن سنوات الدم في الجزائر تتمثل في سنوات التسعينيات من القرن الماضي، و إذا علمنا أيضا أن الجد كان يروي هذه القصة لحفيده و هو في سن السادسة, نتوصل إلى تحديد الزمن الخارجي لهذه القصة بالتقريب، الذي يمتد من سنة 1958م إلى غاية سنة 1990م، لتكون مدتها 22 سنة لخصت لنا حكاية الجبناء الأغبياء الذين كانوا مختبئين في أوكارهم خوفا من فرنسا, و لم يشاركوا في دحرها عن أرضهم، لكن فور رحيلها خرجوا من جحورهم ليظفروا بالمناصب العليا، فعاثوا في الأرض فسادا, و تسلطوا على الضعفاء الذين ضحوا بالغالي و النفيس في سبيل تحرير هذه الأرض الطيبة من ربقة الاستعمار، فنهبوا أموالهم و ممتلكاتهم.

1-6- الزمن الخارجي في قصة (37 فبراير):

لا تقدم قصة(37 فبراير) أي إشارة زمنية أو قرينة تاريخية تحدد لنا زمنها، باستثناء تاريخ ميلاد ابن آدم المتمثل في 37 فبراير, إضافة إلى آخر عبارة يختتم بها الكاتب قصته، و هي «الكرة الأرضية التي ليست لنا بتاريخ 36 مارس 125457 الخ»[xxxviii]، لكن هذان التاريخان يزيدان من غموض زمن القصة، لأنهما غير موجودين في التقويم الميلادي.

ربما تعمد الكاتب توظيفهما ليخبرنا بأن هذا الزمن الفاسد المليء بالمفسدين ليس زمننا، لذلك وُلد ابن آدم خارج التقويم و سيبقى خارجه.

1-7- الزمن الخارجي في قصتي (أوجاع الفكرة و الجورب المبلل):

لا يمكننا تحديد الزمن الخارجي لهاتين القصتين، لأننا لم نجد أي إشارة زمنية تمكننا من تحديده، لكن بعد قراءتنا المتمعنة لهما وجدناهما يصوران لنا مأساة المثقف.

لعل هذا ما جعل الكاتب يجنح إلى عدم تحديد الزمن فيهما, ليجعلهما يعبران عن القهر و القمع, الذي يتعرض له أصحاب الفكر و الكلمة الحرة في كل زمان و مكان.

في نهاية هذا التحليل نستخلص خصائص الزمن الخارجي في الخطاب القصصي البوطاجيني، و ندرجها في النقاط التالية:

1- توظيف قرائن زمنية قليلة للإشارة إلى الحقبة التاريخية التي دارت فيها أحداث القصص.

2- عدم تحديد الزمن الخارجي لسير الأحداث بدقة متناهية.

3- استحالة تحديد الزمن الكرونولوجي في بعض القصص، لأن الكاتب لم يوظف فيها لا إشارات زمنية و لا قرائن تاريخية تساعدنا على تحديده.

4- توظيف الزمن في إطار ثنائية (الحرية و اللاحرية).

2- الزمن الداخلي: le temps interne

إن الزمن الداخلي «لا يخضع لقياس الساعة باعتباره زمنا ذاتيا نفسيا يقيسه صاحبه بحالته الشعورية»[xxxix]، «لقد انتصر الزمن النفسي على أحادية الزمن الموضوعي الخطي الذي يتجه إلى الأمام و لا يمكنه العودة أبدا إلى الوراء، و يتجلى انتصار الزمن النفسي بتمكنه و قدرته على تجاوز الحدود الزمانية و التقسيمات الخارجية (الماضي ، الحاضر، المستقبل)، و بالتالي يمكن في لحظة واحدة آنية أن يمتلك الإنسان عدة أزمنة متفرقة».[xl]

كما يضيف عبد الصمد زايد في هذا الشأن: «و لا يكفي الإنسان في التاريخ الزمن الطبيعي. بل لا بد له من زمن يصنعه بنفسه و يخضع لإرادته حتى يتسع لكل مطالب الذات»[xli]. «و من الزمن ذكرى الزمن المنصرم. فقد أثبت علم النفس الحديث كيفية تخزينه سواء في مستوى الذاكرة الواعية أو في مستوى اللاوعي، و بين قيمة هذا المخزون في توجيه السلوك البشري أو في فهمه و تحليله، و تفسير أسباب الاستقامة فيه، أو أسباب الخلل و المرض، و وجود العلاج و الدواء».[xlii]

فالزمن الداخلي هو زمن الشخصية الذاتي, الذي يخضع لحالتها الشعورية و النفسية التي تعيشها داخل العمل الروائي أو القصصي.

و قد اهتم الكتاب التقليديون أثناء بنائهم للشخصية الروائية أو القصصية بزمنها الخارجي و أهملوا الزمن الداخلي، الذي لم يأخذ حظه من الاهتمام إلا في الرواية و القصة الحديثة، التي كشفت عن ماهية الزمن النفسي من خلال المتغيرات النفسية التي تعيشها الشخصية.

أما بالنسبة للقصة الجزائرية الحديثة، فشأنها شأن الرواية و القصة الحديثة، فلم يعد يُبنى فيها الزمن على منطق التسلسل و التتابع, و إنما بحث القاص الجزائري عن طرق جديدة لتوظيف الزمن، هذا ما نلمسه في قصص السعيد بوطاجين (ما حدث لي غدا، وفاة الرجل الميت، اللعنة عليكم جميعا، حذائي و جواربي و أنتم)، حيث انبنى الزمن عنده على مبدأ التداخل بين أبعاد الزمن المختلفة، و بناء على هذا التمهيد سنحاول الولوج إلى أعماق شخصيات بوطاجين نعيش معهم زمنهم, و نسعى من أجل إدراك هذا الزمن المجرد من زمنيته.

2-1- الزمن الداخلي في قصة (خطيئة عبد الله اليتيم):

إن الحاضر في قصة (خطيئة عبد الله اليتيم) هو الزمن المهيمن على سير الأحداث و على حياة عبد الله، فيمثل له الانكسار و الإحباط و الظلم، لأنه «وُلد مظلوما و عاش مظلوما و يموت مثخنا بالدهشة و التشنجات العصبية»[xliii]. فهو يعيش زمنا فاسدا يثور ضده قائلا: «أشعر باشمئزاز نحو البورجوازية. فأنا عدو للقوانين و الحكومات و المؤسسات الحاكمة. معجب بحياة القلقين الساخطين»[xliv]، لكن موقفه جعله شخصا منبوذا في هذا الزمن، فأمست بذلك روحه «ريشة ملعونة إلى أبد الآبدين»[xlv]، لذا يشعر بتوتر و قلق، ف «تلفه غشاوة، و يضيق نفسه».[xlvi]

لقد انكسر بداخله الأمل و تملكه إحساس باليأس و الغربة النفسية، لأن حياته لم يعد لها معنى، ف«يشعر بموت غير كامل يستله من هدأة الأصيل و يلقيه في تموجات الظاهرة: عزلة، و بردا. و اغترابا»[xlvii]، و «من التجربة المرة يدرك محاليه وجوده الأغبر».[xlviii]

فالقصة إذن تكشف عن حاضر مأساوي كله ظلم و أوجاع نفسية، فقد تمكن من خلاله الكاتب تشخيص الدفقات الشعورية المختلفة للشخصية، كما أن صراع عبد الله مع زمنه الحاضر جعل البعد الزمني الحاضر أكثر الأزمنة حضورا و استمرارية في القصة.

2-2- الزمن الداخلي في قصة (ما حدث لي غدا):

«لا أدري سوى أني لا أتفق مع هذه المدينة و هوائها و أرصفتها المحدودبة البلهاء»[xlix]، لقد أفضى هذا التصريح الذي أدلى به عبد القفار إلى اعتقاله و سجنه، فكان هذا اليوم بالنسبة إليه «يوم لا خير فيه»[l]، لأنهم سلبوا فيه حريته، فغدا بذلك يعيش زمنا مظلما و مملا بين جدران السجن، هذا ما يعبر عنه بقوله «أمامي و خلفي و في مرمى البصر يحمحم السواد»[li]، و «كل ما أدركته أن فراغا يرفرف في روحي»[lii]، ف«لقد كنت و الملل رفيقين معاصرين و ملجأ كانت الوحدة».[liii]

إن الحاضر المزري الذي يعيشه عبد القفار في المعتقل جعله «يحس بالموت يدب في الأنسجة»[liv]، كما أن العذاب الشديد الذي تعرض له فيه أفقده الإحساس بالأمان و بث في قلبه الخوف، فأضحى يخاف حتى من نفسه هذا ما يصرح به: «أنا خائف مني، و لست باستطاعتي أن أؤذي أحدا في هذه المواسم الجحيمية».[lv]

من هنا نستنتج أن هذا الزمن هو زمن متوحش حاصر عبد القفار، فجعله يدور في دوامة ملؤها السواد الأعظم و اليأس من إمكانية تغيير هذا الواقع, الذي بات من المؤكد أنه سيكرر نفسه غدا باعتبار أن الظروف واحدة و المعطيات نفسها، ربما هذا ما يفسر قوله «فلسطيني أنا أينما حللت».[lvi]

2-3- الزمن الداخلي في قصة (مذكرات الحائط القديم):

يتجلى الزمن الداخلي في قصة (مذكرات الحائط القديم) من خلال بعدين زمنيين هما: الماضي و الحاضر، يعيشهما عبد الوالو يتداخلان و يتشابكان ، فيعيش الماضي تارة و الحاضر تارة أخرى، و رغم أنه يعيش الزمن الحاضر، إلا أننا نلمس سيطرة الزمن الماضي على سير أحداث القصة و على البطل بدءا من العنوان.

لعل ما يفسر لنا ذلك هو نفور عبد الوالو من حاضره الذي يبعث في نفسه إحساسا بالغربة و الوحدة، فيقول: «هذه الوحدة لا تختلف عن كابوس متواصل لا يطاق،إذ كلما تسللت إلى الشارع خطأ إلا رجعت مسكونا بالقلق الوجودي و الوشوشات: "هذا براني، هذا براني"».[lvii]

نستخلص من هذه الألفاظ أنه منبوذ في هذه المدينة، لأنه عدو لـ «قارون الذي أصبح وزيرا في زمن البق»[lviii]، لذا يحاول الهروب من الحاضر إلى الماضي, ليتذكر حكايات جدته عن قارون الذي قتل أخاه هارون من أجل سنبلة، فكأنه يتمنى أن يكون قارون مجرد حكاية خيالية نسجها العقل الخرافي لجدته، لأنه يرفض وجوده في حاضره.

2-4- الزمن الداخلي في قصة (وفاة الرجل الميت):

«كان اليوم رماديا و العصافير تتساقط على الأرصفة بقدرة قادر»[lix]. هذا ما شعر به عبد الرحيم طارق عندما أُعتقل بتهمة لا أساس لها من الصحة، كما أنه «أحس بحريق يشب في مدينته التي لم تمنحه سوى الذل».[lx]

هكذا, يعيش عبد الرحيم طارق زمنا جائرا يجني عليه, فيسلبه حقه في الحياة, حتى أحلامه لم تنجوا منه، فقد جعلها «كقطع من الحديد الصدئ تسقط في صدره»[lxi]، ثم تتحول إلى «أحلام مُسنة ناخ فيها الذل الخرافي و الخواء».[lxii]

2-5- الزمن الداخلي في قصة (من فضائح عبد الجيب):

يتجلى الزمن الداخلي في هذه القصة من خلال الأبعاد الثلاثة للزمن الطبيعي: الماضي، الحاضر، المستقبل، تتداخل فتعيشها الشخصية تارة في الماضي، و تارة أخرى في الحاضر، و مرة تتنبأ بالمستقبل.

و ها هو سعيد يبدو متأثرا بدموع جده, هذا ما نستشفه من قوله: «اقشعر عمري كله. نمل لحمي و أحسست ببرد شديد يغزو جثتي الصغيرة التي كدمية ذاهبة إلى الانحلال المؤبد»[lxiii]، لكنه لا يعرف سبب هذه الدموع إلا عندما يخبره بأن حقلهم سيموت، لأن "ديدان الخبيث" سيُحول مجرى الساقية التي كانت ترتوي منها حقول القرية إلى قصره، ليتمم مشروع المسبح، و هي أوامر صادرة من الفوق لا نقاش فيها.

فيُفقده كلام جده إحساسه بالزمن، لذا يتوتر توترا شديدا مما يجعله يتصور اليوم قرنا، هذا ما نكتشفه من قوله: «يا لذلك اليوم العصيب!كان قرنا لخص المستقبل و ما بعده».[lxiv] «لقد شخت في السادسة»[lxv]، «لقد توقف الزمن».[lxvi]

من هنا تبدأ رحلة سعيد مع الحزن، فيعيش بذلك زمنا غائما و حزينا نلمسه من قوله: «بكى قلبي بكى كثيرا و دون أن يلفت انتباه أحد»[lxvii]، «و كان الحزن يغمرني»[lxviii]، فأعلنت تمردي «ومن وقتها أصبحت أعيف هذا الفوق و أتقزز منه، اعتبرته مصنعا للشر. و هكذا ناصبت العداء لقوانينه و قراراته و صلواته قاطبة».[lxix]

2-6- الزمن الداخلي في قصة (37 فبراير):

لم يتمكن ابن آدم من تصحيح تاريخ ميلاده الخاطئ, بسبب التكاسل و اللامبالاة التي تتميز بها الطينة البشرية التي تعمل في مركز الله غالب، لذا «كان يضيع في الأدرج يشعر بحزن يرافقه»[lxx]، لأنه يعيش في زمن فاسد لا يتقن أصحابه إلا كلمة «الله غالب»[lxxi].

2-7- الزمن الداخلي في قصة (أوجاع الفكرة):

يعيش الكاتب زمنا مجرما يحارب أصحاب الفكر الشرفاء الثائرين ضد الفساد، فينتهج شتى الطرق الترغيبية والترهيبية ليسكت فيهم ضمير الحق، و لعل هذا ما يفسر قلق الكاتب على حياته في قوله: «كنت أشعر باقتراب نهايتي».[lxxii]

إن حاضره يمثل شرخا بينه و بين الآخرين الذين لا تروق لهم أفكاره، ربما هذا ما جعله يحس بالوحدة، لذا نجده يقول: «كنت منذ أجيال وحدي، مثل قبر دُفنت فيه وردة أو فراشة».[lxxiii]

و لكي يخرج من وحدته يلجأ إلى أفكاره يخاطبها و يحاورها ، فتكون أنيسه الوحيد في هذا الزمن الجاحد.

2-7- الزمن الداخلي في قصة (الجورب المبلل):

يتجلى الزمن الداخلي في قصة (الجورب المبلل) في الحاضر المتعفن, الذي يسعى جاهدا لتهميش المثقف و الحد من دوره في الحياة، هذا هو حاضر مُحَمَّد زمن رديء دفعه إلى حافة اليأس، «فأحس أنه لا يحتاج إلى الحياة و لا الحياة تحتاج إليه»[lxxiv]، كما تملكه شعور باقتراب نهايته، فقد «كان يحس بأنه لن يغني مرة أخرى، لن يستيقظ كعادته مزهوا، و غدا أو بعد غد سيغور جهد العمر في غياهب الذكريات».[lxxv]

و بناء على ذلك نستنتج أن قصة (أوجاع الفكرة) و (الجورب المبلل) تعبران عن زمن جائر و فاسد, يحمل في طياته الألم و القهر للمثقف الشريف ، و قد تمكن من خلالهما الكاتب من بلورة أفكاره و رؤاه فيهما، فكانتا

عبارة عن صورة زمنية تعكس مواقف السعيد بوطاجين و رؤيته لما يحدث في عالمه. و ما يمكننا قوله في الأخير أن السعيد بوطاجين استطاع من خلال قصصه أن يؤكد لنا أن الزمن هو فعلا ما يشعر به الإنسان.

الإحالات:

[i] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 173.

[ii] المرجع نفسه، ص 178.

[iii] المرجع نفسهّ، ص 177.

[iv] Michel Raymond: le roman, edit, Armand Colins, Paris, 1988, p 149.

[v] عمرو عيلان: الإيديولوجيا و بنية الخطاب الروائي(دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة)، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، 2001، ص 271.

[vi] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية،(بحث في تقنيات السرد)، ص ص 172، 173.

[vii] مها القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، 2004، ص 36.

[viii] أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، 2004، ص 50.

[ix] أ،أ، مندولا: الزمن و الرواية، تر: بكر عباس، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1997، ص 140.

[x] مها القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 2004، ص 44.

[xi] المرجع نفسه، ص 48.

[xii] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن، السرد، التبئير)،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 1997، ص70.

[xiii] تزفيتان تودوروف: مقولات السرد الأدبي (طرائق تحليل السرد الأدبي)، تر: الحسين سحبان و فؤاد الصفا، منشورات إتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992، ص 56.

[xiv] أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص 45.

[xv] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن، السرد، التبئير)، ص ص 73،74.

[xvi] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ص111.

[xvii] جاك دريدا: الكتابة و الاختلاف،تر: كاظم جهاد، دار توبقال، المغرب، 1988، ص 124.

[xviii] عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة(من البنيوية إلى التفكيك)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1998، ص 321.

[xix] أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص 56.

[xx] مها القصراوي: الزمن في الرواية العربية، ص 22.

[xxi] السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا (قصص)، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط 2، 2001، ص 9.

[xxii] المصدر نفسه، ص 20.

[xxiii] المصدر نفسه، ص9.

[xxiv] المصدر نفسه، ص8.

[xxv] المصدر نفسه، ص20.

[xxvi] المصدر نفسه، ص12.

[xxvii] المصدر نفسه، ص79.

[xxviii] المصدر السابق، ص86.

[xxix] المصدر نفسه، ص 91.

[xxx] السعيد بوطاجين: وفاة الرجل الميت (قصص)، دار الأمل للنشر و الطباعة و التوزيع، تيزي وزو, الجزائر، ط 2، 2005، ص 78.

[xxxi] المصدر نفسه، ص93.

[xxxii] المصدر نفسه، ص94.

[xxxiii] المصدر نفسه، ص 75.

[xxxiv] المصدر نفسه، ص 103.

[xxxv] السعيد بوطاجين: اللعنة عليكم جميعا (قصص)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2001، ص 30.

[xxxvi] المصدر نفسه، ص 32.

[xxxvii] المصدر نفسه، ص 29.

[xxxviii] المصدر نفسه، ص64.

[xxxix] مها القصراوي: الزمن في الرواية العربية، ص 23.

[xl] المرجع نفسه، ص ص 23، 24.

[xli] عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن و دلالته، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1988، ص 7.

[xlii] المرجع نفسه، ص 7.

[xliii] السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا (قصص)، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2007، ص 12.

[xliv] المصدر نفسه، ص8.

[xlv] المصدر نفسه، ص8.

[xlvi] المصدر نفسه، ص10.

[xlvii] المصدر نفسه، ص 8.

[xlviii] المصدر نفسه، ص8.

[xlix] المصدر نفسه، ص 81.

[l] المصدر نفسه، ص82.

[li] المصدر نفسه، ص 88.

[lii] المصدر نفسه، ص 84.

[liii] المصدر نفسه، ص 89.

[liv] المصدر نفسه، ص 86.

[lv] المصدر نفسه، ص 86.

[lvi] المصدر نفسه، ص 90.

[lvii] السعيد بوطاجين: وفاة الرجل الميت (قصص)، ص81.

[lviii] المصدر السابق، ص 90.

[lix] المصدر نفسه، ص 98.

[lx] المصدر نفسه، ص 100.

[lxi] المصدر نفسه، ص 97.

[lxii] المصدر نفسه، ص 97.

[lxiii] السعيد بوطاجين: اللعنة عليكم جميعا (قصص)، ص 26.

[lxiv] المصدر نفسه، ص29.

[lxv] المصدر نفسه، ص 29.

[lxvi] المصدر نفسه، ص 34.

[lxvii] المصدر نفسه، ص 26.

[lxviii] المصدر نفسه، ص 26.

[lxix] المصدر نفسه، ص 33.

[lxx] المصدر نفسه، ص 56.

[lxxi] المصدر نفسه، ص 60.

[lxxii] السعيد بوطاجين: حذائي و جواربي و أنتم (قصص)، ص 12.

[lxxiii] المصدر نفسه، ص 16.

[lxxiv] المصدر نفسه، ص 50.

[lxxv] المصدر نفسه، ص 54.